# تاريخ التعليم في السودان أبان عباس الأول وسعيد باشا [1848-1863]

## - دراسة تاريخية -

**م. وفاء خالد خلف**
الجامعة المستنصرية / كلية التربية
قسم التاريخ

**المقدمة** :

عملت بريطانيا منذ أن احتلت السودان عام 1882 على استغلال الخلافات بين المصريين والسودانيين أفضل استغلال ، وذلك لتحقيق أهداف السياسة البريطانية . كان كثير من السودانيين في تلك الفترة يذكرون عهد الإدارة العثمانية حياً في أذهانهم ، ويذكرون أن المصريين قد اشتركوا في تلك الإدارة ، ومن هؤلاء من لا يفرق بين المصريين وحكامهم من العثمانين ، وان كانت الفترة كلها عرفت السودان بالحكم العثماني، فكانت صور الظلم الذي وقع على أهل السودان عالقة الأذهان . وقد حاول الانجليز جهد طاقاتهم أن تظل تلك الصورة حية بل عمدوا الى تضخيمها وتحويلها ، ولم يتركوا مناسبة إلا ذكروا السودانيين ببشاعة الظلم الذي لاقوه من العثمانيين والمصريين ، وقد كان الحكام إما صنائع الانجليز أو ضعفاء لا يستطيعون أن يقفوا بوجه المعتدي ، ولم يحققوا أي شيئاً يذكر في سبيل شعبهم وأمتهم على جميع الأصعدة وأن كانت هناك أشارات أمل إلا أنها لم تكن كافية للنهوض بواقع المجتمع ، ولكن لا يمكننا أن ننكر فعل محمد علي الذي نهض بمصر في جميع مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية ومن بعده إسماعيل .

لم يكن السودان غائباً عن أذهان الحكام الذين حكموه وحكموا مصر في آن واحد ، وعلى الرغم من المحاولات والإصلاحات التي قام بها محمد علي باشا والي مصر على

السودان ، إلا ان التعليم الحكومي او المدني لم يكن قد بدأ في السودان ، وإنما ركز الرجل جل اهتمامه على التعليم الأهلي ، والذي كان يتلائم مع طبقات المجتمع في السودان في تلك الفترة ، وعمد إلى إرسال أبناء السودان إلى مصر لتلقي التعليم في مدارسها وخاصة الفنية منها كالزراعة والصناعة وأن من جاء من بعد محمد علي فأنهم عملوا وسعوا لكن عملهم لا يقارن بانجازات وأعمال محمد علي .

وقد أنشئت في زمن عباس الأول (1848-1854) ، والذي كان مبدأ توسيع هنا وتقليص هناك ، والمقصود الاهتمام بالسودان ونواحي العلم وإرسال أبرز رجالات العلم منهم رفاعة رافع الطهطاوي وبالوقت نفسه تقليص المدارس الكثيرة والمنتشرة في مصر، حتى أنه عمد على إغلاقها كمدرسة الألسن والتجهيزية .

تم تقسيم البحث الى عناوين وفقرات ، وتم الاعتماد على بعض المصادر المهمة مثل كتاب عبد الرحمن الرافعي عصر إسماعيل ، وكتاب حلية الزمن للسيد صالح مجدي، وكتاب الرباط الثقافي بين مصر والسودان لإبراهيم الحاردلو وغيرها .

**أولا : التعليم في عهد عباس الأول** (1848-1854) :

لم يكن عصر عباس الأول [1]حافلاً مثل عصر محمد علي باشا[2] في أغلب المجالات لاسيما الناحية الثقافية والتعليم ، فعلى الرغم من أعمال عباس الاول في هذا المجال فإنها تعتبر لا شيء أو متدنية قياساً لعصر محمد علي[3] ، لكن على العموم يمكننا أن نميز نوعين من التعليم في السودان الأول هو التعليم الأهلي أو الديني والثاني ما عرف بالتعليم الحكومي أو المدني[4] ، ويكاد المؤرخون يجمعون على أن عصر عباس الأول بصفة عامة كان عهد ركود وضعف ، ولم يحظ التعليم – كغيره – من الميادين الأخرى باهتمامه ، بل أقتصر اهتمام الرجل فقط على الإبقاء على بعض المدارس لتخريج العدد الكافي لإدارة المرافق المحدودة ، كما كان شديد الحرص في الصرف على معاهد التعليم وأن كان ينفق ببذخ على قصوره ومرافقه من ناحية أخرى[5] .

وكان عباس الأول يقول : " ان الشعب الجاهل اسهل قيادة من الشعب المتعلم " ولذا أغلق المدارس[6]

**مدرسة الخرطوم الابتدائية** (1850-1853) :

ان أهم الانجازات التعليمية التي تقترن باسم عباس الأول في السودان مدرسة الخرطوم التي أصبحت النواة الأولى للتعليم الحكومي في هذه البلاد . وتجدر الإشارة إلى أن منذ عهد الحكمدار خالد باشا (ديسمبر 1845- اكتوبر 1849) بدأ عهد السودان يعود الى نظام اللامركزية في الإدارة حين ظن رجال الإدارة أن في استقراراً للبلاد ولما كان نجاح هذا النظام مرتبطاً بما يمكن أن يوفره المسؤلون في مصر في الجند والموظفين فقد عمل عباس على المزيد من أشراك العنصر الوطني في سلك الإدارة . وأخيراً لجأ الى أفتتاح مدرسة بالخرطوم حتى يمكنها أن تمد الإدارة المدنية في السودان بالكتبة بعد ثلاث أو أربع سنوات ، وكذلك القوة العسكرية بكتبتها (بلوك امناء) ، وبعد مضي أربع سنوات أخرى حين يتخرج تلاميذ القسم التجهيزي يمكنها أمداد للإدارات المختلفة بمجموعات طيبة من الموظفين[7] .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد فكر عباس الأول بأن تصبح هذه المدرسة بارقة أمل أو منار من اجل أن يلمع أسمه بالتاريخ والدليل على ذلك هو نص رسالة عباس الأول نفسه الى مدير ديوان المدارس حيث يقول : " ... أن الاقاليم السودانية للديار واسعة ، ولما تنشأ بها من معظم مساحتها مدرسة من أجل أبناء سكانها الأصليين من مشايخ وأهلين ولاولاد أحفاد الأتراك الذين أستوطنوا تلك الديار من سنين ليتعلموا صفتي القراءة والكتابة وليدرسوا العلوم ... "[8] وهي أيضا رسالة بالصميم لمن كان يقول بان نشوء هذه المدرسة كانت خصيصاً لآبناء الترك والمصريين وبعض أبناء العمد والمشايخ ، لكن هذا لا يعني بأن هذه الفئات لم تكن منضوية في صفوف هذه المدرسة ، وهذا يعني بأن الباشا لا يفرق بين رعاياه[9] وهذا دليل واضح على أن عباس الاول قد قدم أبناء السكان الأصلين (أي السودانيين) على سائر الأجناس الأخرى ، كذلك فأن لم يقتصر دخولها على أبناء المشايخ والعمد بل كانت لأبناء المشايخ والأهالي كافة ، بمعنى أخر فقد كانت المدرسة لجميع سكان السودان آنذاك من الذين كانوا يعيشون على أرضه ويتبعون أدارة الحكمدارية[10] .

ذكرنا سابقاً بأن أي عمل كان يقوم به عباس الأول كان يؤخذ عليه ، ولو أنه كان يضيق بالعلوم والفنون ولآداب جميعاً فمثلاً عمل على إغلاق مدرسة الألسن[11] وذلك عام 1849 ، ولم يكتف بذلك وأنما عملت على تشتت وأبعاد أساتذتها عن المكان والبلاد[12] وأبرزهم رفاعة رافع الطهطاوي[13] والذي أرتبط أسمه باسم مدرسة

الخرطوم ، والذي أرسله عباس الأول إلى السودان وعينه ناظراً على مدرسة ابتدائية في الخرطوم[14].

**تباين الآراء حول أسباب تأسيس مدرسة الخرطوم** :

ذكرنا بأنه قد أرتبط تاريخ هذه المدرسة برفاعة رافع الطهطاوي وقد تعددت الأسباب من إرسال الخديوي عباس الأول الى ارسال رفاعة الطهطاوي للسودان ، فظهرت عدة آراء يذكر البعض بان عباس الأول أنما أسس مدرسة الخرطوم ليتخلص من رفاعة ، وأن هذا الخديوي الذي أغلق المدارس بمصر ما كان ليفكر في فتح مدرسة بالسودان ، وقد يكون لهذا الرأي صحته فيما يتعلق بمصر وظروفها التي بدأ يحكم فيها هذا الوالي ولكن ليس بالضرورة أن ينسحب ذلك بشكل تلقائي على السودان الذي لم تنشأ به مدارس حكومية من قبل بعكس ما كان في مصر حيث تنوعت المدارس المدنية والعسكرية وأصبحت في عهده زائدة على الضرورة [15].

يوضح الدكتور مكي شبيكة بأن أمر عباس الأول بفتح مدرسة في الخرطوم ما كان إلا رغبة من الباشا في الإساءة الى رفاعة الطهطاوي وغيره من رجال العلم في مصر بأبعادهم عن مصر لأن عباس لم يعرف بحماسته للتعليم والعلم بل أنه أقفل المدارس التي فتحت في عهد جده محمد علي باشا في مصر[16] .

ويتفق مع هذا الرأي الباحث إبراهيم الحاردلو الذي يأتي بدليله على سخط عباس على العلم والتعليم وإبعاد رفاعة عن مصر حيث أصدر أمره بأنشاء مدرسة الخرطوم إذ أن مرتب الطهطاوي ظل محجوزاً منذ أن غادر القاهرة حتى عاد إليها بعد وفاة عباس باشا وكان الحجز بدعوى أن الصرف موقوف حتى يتم جرد الكتبخانة الأفرنجية التي كانت بمدرسة الألسن ، وبعد عودة رفاعة الطهطاوي صدر أمر بصرف بعض استحقاقه الذي كان " محجوزاً لعدم تكدير خاطر المير الموصى إليه " وهو يدل على غضب عباس باشا على رفاعة الطهطاوي[17] .

ويتفق مع هذا الرأي ايضاً المؤلف زاهر رياض إذ قال بأن نشوء هذه المدرسة لم يكن الا غضباً على رفاعة الطهطاوي حتى أنه مكث طول مدته في السودان وهو يشكو من هذا الأبعاد فلم يباشر عملاً في أدارة هذه المدرسة التي كانت اسماً بلا مسمى[18] .

ولم يصدر عباس في سياسته هذه عن رغبة خالصة لنشر العلم والتعليم في السودان ، ولكنه كان مدفوعاً في الدرجة الأولى بالأساءة رفاعة بك وغيره من رجال العلم بإبعادهم عن مصر الى السودان ، ولم يتبين لنا الأثر الذي تركته هذه المدرسة ، ولكن مما لاشك فيه ، ان وجود امثال رفاعة وبيومي ( الذي كان مدرساً اول ضابطاً) وغيرهما في الخرطوم ، كان له بعض الأثر في الطبقة المتعلمة في السودان آنذاك ، وقد ذكروا بالخير وحزنت الخرطوم على وفاة بيومي افندي فيها. [19]

وأستند أغلب هؤلاء بما أمتاز حكم عباس من فترة ركود وانقلاب رجعي وردة كاملة ضد البناء الحضاري والثقافي الذي صنعه محمد علي ، وتحول الى الخلف من جميع النواحي لاسيما الفكرية وخصوصاً في مصر بعدما عمل على نفي رفاعة إلى السودان وأعتبر نفيه كجزء من عملية تصفية تجربة محمد علي[20] والتعليم الذي أصابه الجمود ، إذ أمر عباس بإلغاء مدرسة الألسن ، وضم تلاميذها إلى المدرسة التجهيزية ، ثم أعقبها بإلغاء تلك المدرسة[21] .

إلا أن هناك آراء مناقضة لهذه الآراء منها رأي عبد العزيز أمين عبد الجبار ، والذي أتهم رفاعة الطهطاوي بالتقصير في أداء مهمته والتهاون في إنشاء المدرسة في الخرطوم وأنه قد تصرف في المهام التي أخذها معه للمدرسة عندما غادر القاهرة ، لو أن عباس أراد فعلاً فتح هذه المدرسة حين أمر بإنشائها واختيار رفاعة الطهطاوي قيماً عليها ، ولم يكن يصعب عليه نفي رفاعة الطهطاوي أن اراد دون مبررات أو معاذير[22].

## مدرسة الخرطوم الابتدائية ورفاعة الطهطاوي :

لقد تزامن حكم عباس الاول بوجود المفكر رفاعة الطهطاوي والتي أمتازت فترة حكمه بالركود في جميع جوانب الحياة ومنها الحضارية والتعليمية والثقافية التي بناها وعززها محمد علي ، وعمل على نفي رفاعة الطهطاوي الى السودان ، وأعتبر هذا العمل بأنه الوقوف بوجه جميع الأنجازات التي حققها محمد علي[23] .

ولم يكن رفاعة الطهطاوي سعيداً بالعمل الذي أنتخب لأدائه ولعله قد أضطر إلى الانصياع لأمر الباشا اضطرراً ، وكثيراً ما كان يشكو لكثير من أصحابه الذين حملوا رسائله من الخرطوم إلى أهله وأصدقائه في مصر أذ كان يقول لهم بان توجهه للسودان كان أشبه ما يكون نفياً له من قبل عباس الأول[24] .

وصل رفاعة الطهطاوي الى الخرطوم وانقضى عامان ولم تفتح المدرسة لا لأسباب مالية أو فنية أو أية أسباب أخرى إلا لأن رفاعة نفسه كانت حانقاً على مجيئه الى السودان ، وبدلاً من سعيه الى افتتاح المدرسة راح يشكو بمرارة لكل من يقابله بان مجيئه الى السودان كان عقاباً له تخلصاً منه .

وقد لقيه في الخرطوم الرحالة الامريكي (بايرد تيلور) في عام 1851 وظل يشكو له قرابة ساعة ما حدث له من عباس باشا من متاعب وكيف انه عزل الرجال الذين قربهم محمد علي إليه[25] . ويكتب رفاعة نفسه حول هذا الموضوع فيقول انه سافر " .. الى السودان بسعي بعض الامراء بضمير مستتر بوسيلة نظارة مدرسة بالخرطوم فلبث نحو اربع سنين بلا طائل وتوفي نصف من معيتي من الخواجات المصريين " [26] .

وهكذا ظل رفاعة يشكو ولا يعمل وينقضي عامين ولم تصل منه اخبار الى مصر حول افتتاح المدرسة حتى كتب اليه ديوان المدارس يستفسر الامر ويذكره بأنه اختير لهذه المهمة لما هو معروف عنه من الهمة والخبرة في امور المعارف
والعلوم والتربية ، وطلب منه أن يكتب مفصلاً عن عدد التلاميذ بالمدرسة وعن العلوم التي تلقوها خلال هذه المدة [27] .

ولقد كان بمقدور رفاعة لما عرف عنه من نشاط وخبرة في هذا المجال التربوي أن يفتتح هذه المدرسة في فترة وجيزة دون الانتظار لحولين كاملين ، والتهاون الشديد لدرجة أنه أهمل المهمات التي أعطيت له من أجل المدرسة حتى وزعت على الآيات الجهادية بمعرفة بعض المسؤولين في الحكمدارية[28] .

ومما لاشك فإن رفاعة كان كثير الكلام قليل العمل لم يهوى ما كلف به من عمل في السودان كان ناقماً على الوضع [29] .

أن مالا شك فيه ، أن وجود أمثال رفاعة وبيومي (الذي كان مدرساً أول وضابطاً) وغيرهما في الخرطوم كان له بعض الأثر في الطبقة المتعلمة في السودان آنذاك ، وقد ذكروا بالخير وحزنت الخرطوم على وفاة بيومي أفندي فيها ، وكان رفاعة معجباً بالسودانيين ، فذكر ( أن لهم قابلية للتمدن الحقيقي ولدقة أذهانهم ، فان أكثرهم قبائل عربية ، لاسيما الجعلين والشايقية وغيرهم ، واشتغالهم بما الفوه من العلوم الشرعية عن رغبة واجتهاد ولهم مآثر عظيمة في حسن التعلم والتعليم ، حتى ان البلدة

إذ كان بها عالم شهير يرحل اليه من البلاد المجاورة من طلبة العلم العدد الكثير والجم الغفير ، فيعينه أهل بلدته على ذلك بتوزيع المجاورين (أي الطلبة) على البيوت بحسب الاستطاعة فكل واحد من الأهالي يخصه الواحد أو الاثنان فيقدمون بشؤونهم مدة التعلم والتعليم )[30] .

**أساتذة وطلاب مدرسة الخرطوم** :

مما لاشك فيه كانت لدى عباس الأول رغبة حقيقية في أنشاء مدرسة بمنطقة السودان ، والدليل على ذلك ما ابداه المجلس الخصوصي لتأسيس " .. مدرسة بالأقاليم السودانية أنقاذاً لأولاد أهلها من جحيم الجهل فيمتازوا باكتساب العلوم والمعارف على أن يقبل ويقيد بها مئتان وخمسون غلاماً ، واستحسن أن يولي رفاعة بك ناظراً على هذه المدرسة فيرسل إليها ، ويصطفي مدرسوها من هنا باختيار البك المشار إليه..."[31]

وقد وصل الجواب من مدير المدارس بقوله : " .. وقد تشاورنا في الأمر بالديوان واجتبينا المعلمين من بين أكفاء الرجال ووضعنا بياناً عن سائر الخدم وعن الملابس والفرش والجرايات والمرتبات الشهرية فرفعناه الى أعتاب جناب الخديوي ، فوافقت عليه إرادته السامية .. " [32] .

وهكذا أبدى ديوان المدارس رأيه ، ولم يبقى سوى قرار المجلس الخصوصي والذي تضمن أن يكون تلاميذ هذه المدرسة من " أولاد المشايخ والأهلين القاطنين بدنقلة والخرطوم وسنار والتاكسة وملحقاتها .. " كما أستقر الرأي على أن يكون مقر هذه المدرسة الخرطوم " التابعة لنظام المدارس المصرية وعلى نسق المبتديان والتجهيزية " [33] . وأن يقيد بها مئتان وخمسون طفلاً ، ويعين رفاعة الطهطاوي ناظراً عليها لالمامه بأصول المدارس والذي كان موظف بديوان المدارس . كما طلب من رفاعة أن يستصحب معه الاحد عشر معلماً والطبيب الذين يخصص لهذه المهمة ويسرع بهم الى الخرطوم لتأسيس المدرسة ، وأن يبذل جهده في ذلك ويعتني بأمور المعلمين والتلاميذ [34] . وكذلك طلب من حكمدار السودان أن يخصصوا مكاناً مناسباً للمدرسة وأن يختار الأفراد المعاونين من أهل البلاد مثل الكاتب و" الوزان" و"وكيل " و " العهدة " و" الغسال " والسقاء والطاه والخدم الآخرين على أن تخصص خمسة قروش شهرياً لكل طالب[35] ، وقد صدر أمر الى ترسانة بولاق بناء على ما جاء بخطاب

ديوان المدارس بتخصيص(ذهبية) لنقل رفاعة والمدرسين البالغ عددهم أحد عشر بالأضافة الى الطبيب[36] .

وضع الرافعي ميزانية لانشاء المدرسة بلغت ثلثمائة وثمانية وثلاثين الف وثلاثة وثلاثين قرش (338033) وتسع وثلاثين بارة في العام طبقاً لأسعار القاهرة. وصدر أمر عال من عباس باشا بالموافقة على المشروع وحدد عدد الطلبة بمئتين وخمسين طالباً [37] .

مما لاشك فيه فأن رفاعة الطهطاوي قد تحمس للعمل والأمر الذي كلف به، وقد أنتخب أحد عشر وطبيباً واحداً للعمل معه في مدرسة الخرطوم ، وكان المدرسين من تلاميذه الذين درسوا على يديه وهم :

1- القائمقام محمد بيومي أفندي ، كان من قدامى أساتذة مدرسة المهندسخانة ورئيس قلم ترجمة الكتب الرياضية بقلم الترجمة ومفتش العلوم الرياضية.
2- الصاغقول أحمد طائل ، من مدرسي المهندسخانة كان قد ارتكب أمراً عوقب عليه بالأشغال الشاقة ثم عفى عنه وعين معاوناً بديوان المدارس (مفتشاً) في عهد أدهم باشا .
3- الملازم أول محمد علي أفندي .
4- الملازم ثان علي عثمان أفندي .
5- الملازم ثان إبراهيم محمد أفندي .
6- الملازم ثان محمد مرسي أفندي[38] .
7- الملازم ثان أمين أفندي .
8- الشيخ رجب وكان عالماً من علماء الأزهر .
9- الشيخ مكاوي من علماء الأزهر .
10- الشيخ إسماعيل فرغلي .
11- الشيخ أحمد الواعظ .
12- سليمان السيوطي أفندي (طبيب) [39] .

**أفتتاح المدرسة** :

لم تتوفر المعلومات الكافية عن طقوس افتتاح المدرسة إلا أن أغلب الظن أنها كانت متواضعة وعادية ، وأن الحكمدار سليم باشا صائب (ابرايل 1853-مارس

1854) الذي وصل السودان في شهر شعبان 1269هـ (شوال 1269هـ- شعبان 1270هـ) أستطاع أن يفتتحها في شوال[40] . وبالفعل تم أفتتاحها بعدد قليل من الطلبة، واحد وثلاثين طالباً ، ولم يزيدوا على هذا العدد بعد استمرار الدراسة فيها ان لم ينقصوا، وعلى الرغم من الجهود التي بذلها الحكمدار لم يزداد عددهم الا سبعة آخرين بعد شهر ونصف من الافتتاح[41] .

وقد كانت هذه المدرسة على غرار مدرسة المبتديان والتجهيزية كما سبق القول ، ولم تتوفر المعلومات الكافية عن عدد السودانيين والمصريين الذين قبلوا في المدرسة في تلك الفترة ، ولكنهم كانوا خليطاً من السودانيين والمصريين[42] . وعلى الرغم من أن الطلبة لم يستفيدوا بدرجة كبيرة من نشوء المدرسة ، إلا ان المشايخ الذين حفظوا القرآن في الخلاوي[43] . كان المستفيد الأول من نشوء هذه المدرسة هم المشايخ أكثر من الطلبة الذين بدأوا بالدراسة فيها والذين جاءوا الى رفاعة لتعلم تجويد القرآن وعلم القراءات حتى أن طهطاوي نفسه يقول عن هؤلاء المشايخ : ( وكذلك تعلم فقهاء الخرطوم فمن معي من المشايخ والقراء تجويد القرآن الشريف وعلم القراءات حتى صاروا ماهرين في ذلك[44] ، وقد كانت هذه المدرسة على غرار مدرسة المبتديات والتجهيزية كما سبق القول ولكنها لم تستمر حتى يتكون بها قسم تجهيزي ، فلم تتجاوز المرحلة الابتدائية ، وقد الحق بهذه المدرسة خلوة من خمسة فصول لتعليم القرآن الكريم، تضم الأطفال بين سن الخامسة والعاشرة [45] .

وكانت المدرسة داخلية لأن تلاميذها كانوا من جهات متعددة خارج الخرطوم، كما كانت مزودة بكل مستلزمات القسم الداخلي من غذاء وفرش وغير ذلك ، والمعروف ان الغرض من المدرسة الابتدائية ( المبتديات) هو اعداد التلاميذ للمدرسة التجهيزية ، وعلى هذا قد كانت مدرسة الخرطوم الابتدائية هي المرحلة السابقة للمدرسة التجهيزية[46] .

**شروط الانضمام للمدرسة ومواد الدراسة فيها** :

لم تكن الشروط المعلنة للدخول للمدرسة صعبة او تعجيزية وإنما كانت ميسرة فقد كانت يقبل في هذه المدرسة التلاميذ من سن السابعة الى الثانية عشر على ان يكون التلميذ سليم البدن خالياً من الامراض ، ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات وتزداد الى اربع ان لم يحدث عذراً او مرض ، وكان يبدأ بالفرقة الثالثة فإذا نجح ينتقل الى السنة الثانية ثم الاولى[47] .

أما مواد الدراسة في هذه المدرسة فكانت الكتابة والقراءة ومبادئ النحو الصرف العربي والحساب والفرائض الدينية ، وكان التلاميذ يجلسون على حصر على الارض ، والمدرس يستمع اليهم وهم يقرأون او يلقي عليهم درساً في الحساب . وخص رفاعة الطهطاوي الطلاب بقراءة القرآن وحفظه ، واعراب الاجرومية ، وحفظ المفردات والجمل التركيبية وخط الثلث والحساب ، ليكونوا قريباً مقدمين على اقرانهم و(قلفوات) للمرسة ، وقام رفاعة الطهطاوي اثناء اقامته في السودان بترجمة الرواية الفرنسية المشهورة ومغامرات تليماك[48] .

وقد أبدى الرحالة الانجليزي (جيمس هاملتون Gemec Hamilton ) اعجابه من التقدم الذي أبداه تلاميذ هذه المدرسة في وقت وجيز[49] .

ومن الرحالة الذين زاروا الخرطوم في ذلك الوقت(1850) وتحدثوا من مشاهدتهم فيه جورج ميلي (Melly) وقد ذكر أنها تضم ثلاثة آلاف بيت ، وأن معظم الكماليات الأوربية كان من اليسير الحصول عليها من أسواقها ، كذلك زار السودان الرحالة (جوستان فلوبير Gostan Flopeer) ومعه الصحفي والمصور الفوتوغرافي الفرنسي (مكسيم دي كمب Maxsim decambe) [50] .

وكما كان يحدث في مدارس مصر حدث نفس الشيء في مدرسة الخرطوم حين عقد امتحان لتلاميذها وقد حضر هذا الحفل حكمدار السودان وبعض الاعيان والعلماء ومشايخ البلاد وعمدها ، وتم إرسال جدول الامتحان الى مصر[51].

**إغلاق المدرسة** :

ذكرنا سابقاً بأن نشوء هذه المدرسة منذ البداية لم يكن يحمل طابع الجدية والمسؤولية ، لأن وراء نشوئها حسب ما تردد بين الأوساط والشعب هو هدف خفي الا وهو ابعاد رفاعة الطهطاوي الذي مهما بذل من جهد لإنشائها فقد كانت مستحيلة نظراً

للظروف الصعبة التي كانت تتمتع بها الفكرة من جهة والمنطقة من جهة أخرى ، بكل الأحوال فقد أصبحت الفترة التي قضاها رفاعة الطهطاوي في الخرطوم ظروف قاسية[52] .

وهذا الامر يبرر مضيء ثلاث اعوام بين صور القرار بانشاء المدرسة وافتتاحها بالفعل .حتى ان عباس الاول كان قد ارسل خطاباً الى ( اسماعيل حقي ) حكمدار الاقاليم السودانية بتاريخ ( 21 رمضان 1268) ، بخصوص مدرسة الخرطوم وقد جاء فيه : " وصل الى سمعنا وعلمنا في هذين اليومين ان المدرسة المقرر تاسيسها وانشاؤها في بلدة الخرطوم لتعليم اولاد الناس وصبيانهم اهمل فتحها الى الان ، وحيث ان رفاعة بك الذي تعين ناظراً للمدرسة على حسب ما تقتضيه ارادتنا توجه الى بلدة الخرطوم ووصل اليها من مدة مديدة فالمامول ان تبادروا بفتح المدرسة على حساب ما تقتضيه ارادتنا ، وتباشروا تعليم وتعلم الصبيان اولاد الاهالي بلا تأخير واهمال ، كما هو منظور في درايتكم [53].

وبعد وفاة عباس باشا عام 1854 [54]. صدرت الاوامر في 27 شوال 1270 الى حكمدار السودان عبد اللطيف باشا [55] ، بالغاء مدرسة الخرطوم ، ولم يبق رفاعة الطهطاوي في السودان بعد وفاة عباس باشا سوى ايام معدودات تهيئاً في العودة الى القاهرة ومغادرته الخرطوم ، ولم يعد بعدها أبداً للسودان[56].

**ثانياً : التعليم في عهد سعيد باشا** ( 1854-1863) :

لم يكن سعيد باشا[57] ، افضل حال من عهد عباس باشا ، بل انه كان اسوا حال حيث ان سعيد باشا قد استهل عهده بالغاء مدرسة الخرطوم وذلك بسبب الشكوى المستمرة من لدن رفاعة وبقائه في السودان ، بالاضافة الى ان المدرسة بعد اربع سنوات من انشائها لم تثبت ضرورة من وجودها[58] ، واغلقت في 27 شوال 1270هـ/23 يوليو 1854م[59].

مثلما اختلف الاداء حول اهتمام عباس باشا بالناحية التعليمية وانشائه مدرسة الخرطوم ، فهنا وبزمن سعيد باشا اختلفت الاراء حول اهتمام سعيد باشا بالناحية التعليمية ، اذ ذكر مسيو (مريو Merrio) وهو من المعجبين بسعيد باشا بان عباس الاول كان قد اهمل المدارس فاصابها الاضمحلال وازدادت حالتها سوء حين بدأ سعيد يتولى الحكم فرأى من الحكمة إغلاقها نهائياً بدلاً من البدء في تنظيمها الذي كان عبثاً لا يجدي [60].

وكذلك فإن الدكتور أحمد عزت عبد الكريم يذكر بان سياسة سعيد باشا التعليمية الى أن تولى حكم مصر بعد ست سنوات من وفاة محمد علي شهدت خلالها مصر توقف الحركة الاصلاحية الواسعة النطاق التي واجهت مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، كما شهدت هذه الفترة أنكماش القوة العسكرية والنظام الصناعي الكبير ، وانحلال السياسة الاقتصادية ، بالأضافة الى الجانب التعليمي[61] . وهو ما يعني بأن تدهور التعليم في البلاد عامة والسودان خاصة هو شيء طبيعي لأن كل أوضاع وجوانب الدولة قد تدهورت وضعفت بعد وفاة محمد علي.

إما الآراء المخالفة لوجهات النظر هذه فهي رأي عبد الرحمن الرافعي الذي ذكر بأنه ليس من المعقول أن يعالج القصور بالناحية التعليمية بإغلاق هذه المدارس بل ينبغي أن يكون بتنظيمها وإصلاحها ، فأذا كانت عزيمة محمد علي قد أوجدت المدارس من العدم فالأسهل من ذلك أصلاح الخلل الذي أصابها[62] .

وهكذا تولى سعيد الحكم ولا توجد في مصر المدارس التي أنشائها محمد علي سوى الشيء اليسير ، فلم يعمل على أعادة أحياء ما أندثر بل أنه الغى ديوان المدارس وكثير من المدارس[63] . وهو الأمر الذي يدل على نقوص الناحية التعليمية وأندثارها بصورة واضحة ، وليس معنى ذلك أن السودان كان غائباً عن ذهن سعيد ولكن يبدو أن أثار التجربة السابقة لمدرسة الخرطوم كانت ماثلة أمامه، فالسودان قد نال عنايته القصوى في جوانب أخرى كالضرائب والناحية المالية، وكل ما يمكن أن يذكر أن محمد سعيد لم يكن موفقاً في الجانب التعليمي في السودان والحكومي منه على وجه الخصوص رغم المحاولات التي قام بها حكمدار السودان موسى حمدي في أواخر عهد سعيد الذي قدم أقتراحاً في نهاية عهد سعيد بادخال كل من يرغب من أبناء العمد والاعيان والأهالي في دواوين المديريات وفي ديوان الحكمدارية لتعليمهم فن الكتابة من حسابات وتحريرات وغيرها حتى يمكن الاستفادة منهم بدلاً من طلب كتبه من مصر نظراً الى أن الأخيرين يتكلفون مصاريف كثيرة بالأضافة الى اختلاف المناخ الذي يؤثر على صحتهم[64] . والذي أدى على قصور المؤسسات التعليمية الحكومية ، اذ كانت ميزانية التعليم في عهد سعيد (6000) جنيه[65].

ومن ضمن ما فعله سعيد باشا في بداية توليه الحكم ، فقد أعاد رفاعه الطهطاوي الى مصر ، ثم عينه ناظراً للمدرسة الحربية في القلعة ، ولم ييأس رفاعة ، بل رحب

بالمنصب الجديد ، وسعى جهده الى جعل المدرسة تتصف بصفة مدنية ، وأقحم الدراسات التي يتقنها ويميل اليها في المنهاج أقحاماً ، فجعل دراسة اللغة العربية واجبة على الجميع ، وترك للتلاميذ حرية أختيار أحدى اللغتين الشرقيتين الفارسية والتركية ، وأحدى اللغات الأوربية الانكليزية والفرنسية والألمانية [66] .

ومما لا يجب أهماله هو أن قد جرت محاولة في نهاية عهد سعيد من جانب الحكمدار موسى حمدي لادخال أبناء العمد والأعيان والأهالي في دواوين المديريات والحكمدارية لتعليمهم فن الكتابة والحساب وقد نفذت آراء ومقترحات هذا الحكمدار بشكل جدي في عصر أسماعيل. وهكذا أستمرت مدرسة الخرطوم التي أنشأها رفاعة الطهطاوي مغلقة حتى وصول الحكم في مصر الى الخديوي إسماعيل[67] فأصدر الأمر الى موسى حمدي باشا حكمدار السودان بخصوص تنظيم مكتب عن طرف المدير بالخرطوم ليعلموا فيه قدر خمسمائة نفر تلامذة ليؤخذ منهم من يلزم من وظائف الكتابة والمعاونين بحسب اللزوم [68] .

**الخاتمة** :

أغلقت مدرسة الخرطوم الابتدائية في السودان والتي لم تؤت ثمارها بصورة جيدة ، وبالرغم من ذلك فأنها قد تركت بعض الأثر في السودان حيث تعلم فقهاء الخرطوم من المشايخ الذين رافقوا رفاعة للتدريس تجويد القرآن وعلم القراءات ، بالإضافة إلى التلاميذ الذين أمضوا العام الدراسي بها ، وكما يقول المثل رب ضارة نافعة فان إصرار عباس على أنشاء هذه المدرسة بالسودان وبالرغم من أنها لم تؤتي ثمارها واستياء الطهطاوي من اختيار عباس له فأنها كانت بارقة أمل للسودان ومصدر طموح لرفاعة لتغيير الواقع ولكن الذي يؤخذ على عباس بأنه لم يفكر في زيارة السودان ليشاهد بنفسه شؤون البلاد وأهلها ويتعرف على أحوالها كما فعل محمد علي الذي لم تمنعه شيخوخته ومشاغله العديدة من أن يجوب السودان باحثاً ومستطلعاً .

**هوامش البحث**

(1) عباس الأول (1848-1854) : هو عباس حلمي الأول بن أحمد طوسون باشا ابن محمد علي باشا أصبح واليا من (10نوفنبر 1848- 13 يوليو 1854) ولد سنة 1813 في جده ونشأ في مصر ، خلف عمه إبراهيم باشا في تولي مصر 1848 . هو حفيد محمد علي وابن أخ أبراهيم ، في عهده أضمحل الجيش والبحرية في مصر وأغلقت كثير من المدارس والمعاهد ، عاش عيشة بذخ وانصرف عن التفرغ لشؤون الدولة . ظل في الحكم قرابة الخمس سنوات ، واغتيل في قصره في بنها في يوليو 1854 . ناصر الانصاري ، موسوعة حكام مصر من الفراعنة إلى اليوم ، دار الشروق ، 1989 ، ص122 .

(2) محمد علي باشا (1805-1849) : عين والياً على مصر في 17 صفر 1220هـ/17 مايو 1805 ، حتى 2 شوال 1214هـ/ أول سبتمبر 1848 ، ولد بمدينة قوله من موانئ مقدونيا في 1769 ، انخرط في سلك الجندية ، تفرغ لتجارة الدخان فربح بها، لكنه فضل الانخراط بالحياة العسكرية وصل مصر في مارس 1801 كمعاون لرئيس كتيبة قوله واظهر كفاءته فتدرج بالترقية ، قضى على المماليك في مذبحة القلعة الشهيرة 1811، منح رتبة نائب ملك على مصر وان تكون مصر بحدودها القديمة وراثية في اسرة محمد علي للأكبر سناً من الأولاد والأحفاد الذكور ، على أن تكون مصر جزءاً من الدولة العثمانية وان تدفع الجزية سنوياً للسلطات ، ولا يزيد جيشها على ثمانية عشر الفاً ولا تبنى سفناً حربية . مرض محمد علي في 1848 وصدر فرمان بتعين إبراهيم باشا والياً على مصر ، وتوفي محمد علي 1849 . ينظر : ناصر الانصاري ، المصدر السابق ، ص121-122 ؛ اليأس الأيوبي ، محمد علي سيرته وأعماله وأثاره ، دار الهلال ، مصر ، 1923 ، ص10 ؛ أمل صديق عفيفي ، أيام في حياة محمد علي ، ط2 ، مشارق للنشر والتوزيع ، بلا ، 2007 ، ص90 .

(3) لويس عوض ، تاريخ الفكر المصري الحديث ، دار الهلال ، 1969 ، ص97 ؛ لوتسكي، تاريخ الاقطار العربية الحديثة ، دار التقدم ، موسكو ، ص184 .

(4) المصدر نفسه ، ص493 ، التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان (1841-1881)، دار المعارف ، ط1 ، 1985 ، ص493 .

(5) حمدنا الله مصطفى حسن ، التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان (1841-1881)، دار المعارف ، ط1985،1،ص493 .

(6) صلاح احمد هريدى ، تاريخ مصر الحديث ، مكتبة بستان المعرفة ، الاسكندرية ، 2009 ، ص229.

(7) حمدنا الله مصطفى حسن ، التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان ،(1841-1881) ، ص494؛ ابراهيم الحاردلو ، الرباط الثقافي بين مصر والسودان ، دار جامعة الخرطوم ، ، الخرطوم ، ط1 ، 1977 ، ص11-12 .

(8) حمدنا الله مصطفى حسن ، المصدر السابق ، ص494 .

(9) المصدر نفسه ، ص494 ؛ إبراهيم الجاردلو ، الرباط الثقافي ، ص11 ؛ محمد فؤاد شكري ، الحكم المصري في السودان ( 1820-1885) ، دار الفكر العربي ، 1947 ، ص49.

(10) المصدر نفسه ، ص494 ؛ إبراهيم الجاردلو ، الرباط الثقافي بين مصر والسودان ، ص11

(11) أنشئت في أوائل سنة (1251هـ/ 1835) من قبل رفاعة رافع الطهطاوي والذي عين ناظراً لها بعد ان تقدم بطلب الى محمد علي يقترح عليه إنشاء مدرسة لتعليم اللغات ، فوافق محمد علي على المقترح الذي كان يريد ترجمة عدد من الكتب الأدبية في كتاب العلوم والفنون ليستعين بها الطلاب في مدرسته الجديدة . للمزيد ينظر : جمال الدين الشيال ، التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر ، مكتبة النهضة المصرية ، مصر 1958 ، ص55-56 .

(12) لويس عوض ، المصدر السابق ، ص97 .

(13) رافع الطهطاوي ( 1801-1873) : شيخ المترجمين المصريين في مطلع النهضة الحديثة ، ولد في طهطا ن ونشأ فقيراً ، وقدم الى القاهرة صغيراً ، وتخرج في الجامع الازهر انتهز فرصة تعينه اماماً لاول بعثه تعليمة أرسلت الى فرنسا فتعلم الفرنسية ، وبعد عودته عمل مترجماً في المدارس الفنية التي انشائها محمد علي ، ثم مديراً لمدرسة الترجمة ( الالسن فيما بعد ) ، قام بدور هام في نشأة الصحيفة الرسمية ( الوقائع المصرية ) ، تخرج عليه كثير من المترجمين والاساتذة . وترجم بنفسه كتباً عديدة في الجغرافية والقانون والهندسة وغيرها . وكتب وصف لرحلته الى فرنسا ( تلخيص الابزيز في تخليص باريز) وشرحا للنظم السياسية والاجتماعية الحديثة ، ومناهج الالباب المصرية في مناهج الاداب المصرية ، ولكن اسلوبه يحمل طابع القرون الوسطى الذي تجد عند الجبرتي مثلاً له . محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، لبنان ، ص873 . للمزيد ينظر : صالح مجدي ، حلية الزمن بمناقب خادم الوطن ( سيرة رفاعة الطهطاوي ) ، تحقيق جمال الدين الشيال ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ص17 .

(14) جمال الدين الشيال ، المصدر السابق ، ص56 ؛ إبراهيم الحاردلو ، المصدر السابق ، ص11.

(15) حمدنا الله مصطفى حسن ، المصدر السابق ، ص494 .

(16) مكي شبيكه ، السودان عبر القرون ، القاهرة ، 1966 ، ص124 .

(17) إبراهيم الحاردلو ، المصدر السابق ، ص13 .

(18) زاهر رياض ، السودان المعاصر منذ الفتح المصري حتى الاستقلال (1821-1953) ، مكتبة الانجلو المصرية ، 1966 ، ص75 .

(19) عبد المجيد عابدين ، تاريخ الثقافة العربية في السودان منذ نشأتها الى العصر الحديث ، دار الثقافة ، المطبعة التجارية ، ط2 ، بيروت ، 1967 ، ص120-121 .

(20) عبد الكريم حسين الشباني ، اتجاهات التحديث عند المفكر العربي رفاعة رافع الطهطاوي ، اطروحة دكتوراه مقدمة الى معهد الدراسات القومية الاشتراكية ، الجامعة المستنصرية ، 1989، ص26 .

(21) احمد زكريا الشلق ، معالم تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر ، الدوحة ، 1996 ، ص78-79 ؛ عبد الكريم حسين الشباني ، اتجاهات التحديث عند المفكر العربي رفاعة رافع الطهطاوي ، ص27 .

(22) عبد العزيز عبد المجيد ، التربية في السودان في القرن التاسع عشر ، ج2 ، 1949 ، ص25،31 .

(23) محمد عمارة ، رفاعة الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث ، ص85 .

(24) مكي شبيكة ،المصدر السابق ، ص124 ؛ ابراهيم الحاردلو ، المصدر السابق ، ص12 .

(25) حمدنا الله مصطفى حسن ، المصدر السابق ، ص497 ؛ إبراهيم الجاردلو ، المصدر السابق ، ص12.

(26) لقد اصبحت الفترة التي قضاها رفاعة الطهطاوي في الخرطوم ظروف قاسية ، اذ مات اربعة من المدرسين الذين صحبوه الى الخرطوم للعمل في المدرسة ، فاصبح هذا حدثاً فاجعاً للعاملين من المدرسين ومصدر فزع لكل من يعين مستقبلاً في السودان ، وكانوا يرجعون اسباب الموت الى اختلاف الطقس في السودان والامراض هناك . ابراهيم الحاردلو ، المصدر السابق ، ص12-13؛ حمدنا الله مصطفى حسن ، المصدر السابق ، ص497-498 .

(27) حمدنا الله مصطفى حسن ، المصدر السابق ، ص498 .

(28) المصدر نفسه ، ص498 .

(29) لقد نظم رفاعة في السودان قصيدة يشكو فيها حاله قائلاً :

**وما السودان قط مقام مثلي ... ولا سلماي فيه ولا سعادي**
**بها ريح السموم يشم منه ... زفير لظى فلا يطفيه وادي**

ثم يقول في موضع أخر :

**وقد فارقت أطفالاً صغاراً ... يطهطا دون عودى واعتيادي**
**أفكر فيهم سيراً وجهراً ... ولا سمري يطيب ولا رقادي**

ثم يقول أيضاً :

**ثلاث سنين بالخرطوم مرت ... بطهطا مدارس طبق المراد**
**وكيف مدارس الخرطوم ترجى ... هناك ودونها حرق القتاد**

ينظر : حمدنا الله مصطفى حسن ، المصدر السابق ، ص498

(30) عبد العزيز أمين عبد المجيد ، المصدر السابق ، ج2 ، 1949 ، عبد المجيد عابدين ، المصدر السابق ، ص121 .

(31) حمدنا الله مصطفى حسن ، المصدر السابق ، ص495 .

(32) المصدر نفسه ، ص496 .

(33) المصر نفسه ، ص496 ؛ إبراهيم الحاردلو ، المصدر السابق ، ص11.

(34) المصدر نفسه ، ص496 ؛ الحاردلو ، المصدر السابق ، ص11 .

(35) حمدنا الله مصطفى حسن ، المصدر السابق ، ص497 .

(36) المصدر نفسه ، ص497 .

(37) ابراهيم الحاردلو ، الرباط الثقافي في مصر والسودان ، ص11 .

(38) ابراهيم الحاردلو ، المصدر السابق ، ص11 ؛ حمدنا الله مصطفى حسن ، المصدر السابق ، ص497 ؛ محمد فؤاد شكري ، الحكم المصري في السودان ( 1820-1885) ، ص49 .

(39) ابراهيم الحاردلو ، المصدر السابق ، ص12 ؛ حمدنا الله ، المصدر السابق ، ص497 ؛ محمد فؤاد شكري ؛ المصدر السابق ، ص49 .

(40) المصدر السابق ، ص497 .

(41) المصدر السابق ، ص499 ؛ ابراهيم الحاردلو ، المصدر السابق ، ص68.

(42) المصدر السابق ، ص132 ؛ حمدنا الله ، المصدر السابق ، ص499 .

(43) وكان اشبه بالخلوه أو التكية والتي أنتشرت في كل أنحاء السودان منذ قيام مملكة الفونج الإسلامية وقد وحدت الادارة التركية في بداية القرن التاسع عشر عند فتح السودان عدداً كبيراً منها فأخذت الإدارة التركية تعين هذه الخلادي التي تدرس القرآن والعلوم الدينية الأخرى في مختلف فروعها . وكانت تلك الخلادي تؤدي رسالة كبرى في نشر الثقافة الإسلامية والعربية في ربوع السودان ، وكان بينها تنافس وصلات ، فيأتي الطلاب من بلاد بعيدة طلباً للعلم في مسجد ذاع خبره ، ليدرسوا على يد شيوخها .

(44) ابراهيم الحاردلو ، المصدر السابق ، ص13 ؛ حمدنا الله ، المصدر السابق ، ص499 .

(45) المصدر نفسه ، ص499 .

(46) المصدر نفسه ، ص499 .

(47) المصدر نفسه ، ص499 .

(48) دائرة معارف الشعب ، ج3 ، ص68 .

(49) حمدنا الله مصطفى حسن ، المصدر السابق ، ص499 -500 .

(50) شوقي الجمل ، تاريخ سودان وادي النيل حضارته وعلاقته بمصر من أقدم العصور الى الوقت الحاضر ، ج2 ، ص63 .

(51) حمدنا الله ، المصدر السابق ، ص500 .

(52) ابراهيم الحاردلو ، المصدر السابق ، ص13 .

(53) امين سامي ، تقويم النيل ، المجلد الاول من الجزء الثالث ، ص50

(54) ابراهيم الحاردلو ، المصدر السابق ، ص12 .

(55) جمال الدين الشيال ، المصدر السابق ، ص66 .

(56) نعوم شقير ، جغرافية مصر والسودان ، ص204 ؛ ابراهيم الجاردلو ،المصدر السابق ،ص13.

(57) محمد سعيد باشا أبن محمد علي والياً على مصر في 14 يوليو 1854 الى 18 يناير 1863 وعم سلفه عباس الأول ولكنه أصغر منه سناً . توفي سعيد في يناير 1863 . ناصر الأنصاري ، موسوعة مصر ، ص123 .

(58) حمدنا الله مصطفى حسن ، المصدر السابق ، ص501 ؛ ابراهيم الحاردلو ، المصدر السابق ، ص 13 .

(59) حمدنا الله مصطفى حسن ، المصدر السابق ، ص500 ؛ ابراهيم الحاردلو ، المصدر السابق ، ص 13 ؛ ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص67 .

(60) ابراهيم الحاردلو ، المصدر نفسه ، ص 13

(61) نقلاً عن حمدنا الله مصطفى حسن ، المصدر السابق ، ص501 .

(62) عبد الرحمن الرافعي ، عصر أسماعيل ، ج1 ، ص42 .

(63) المصدر نفسه ، ج1 ، ص14 .

(64) أمين سامي ، تقويم النيل وعصر أسماعيل ، ج2 ، المجلد الثاني ، ص452 .

(65) ابراهيم شحاته حسن ، المصدر نفسه ، مصر ، ص69 .

(66) جمال الدين الشيال ، المصدر نفسه ، ص7 ، ص66 ؛ صالح مجدي ، حلية الزمن بمناقب خادم الوطن ، ص39 ؛ عبد الكريم الشباني ، المصدر السابق ، ص46 .

(67) الخديوي اسماعيل بن إبراهيم باشا أبن محمد علي باشا (والي ثم خديو ) من 19 يناير 1863 الى 26 يونيو 1879 . ولد عام 1830 عند وفاة سلفه سعيد ، كان أكبر الذكور سناً فآلت إليه ولاية مصر . حاول أن يسير على نهج جده محمد علي في تحديث مصر والأستقلال بها عن الأدارة العثمانية ولكن بطريقة التودد ودفع الرشاوي لذوي القوة في الاستانة فحصل ذلك على لقب خديو . كافح تجار الرقيق ، افتتح قناة السويس للملاحة العالمية . ادت سياسته المالية السيئة الى عزله عام 1879 وتنصيب توفيق بدلاً عنه . توفي بالأستانة 1895 ودفن بالقاهرة . ناصر الأنصاري ، موسوعة حكام مصر ، ص123 . للمزيد عن أسماعيل ينظر : الياس الأيوبي ، تاريخ مصر عهد الخديو أسماعيل باشا سنة 1863 الى سنة 1879 ، المجلد الأول ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1923 ، ص20

(68) ابراهيم الحاردلو ، المصدر السابق ، ص14 .

**قائمة المصادر** :

1- الياس الأيوبي ، تاريخ مصر عهد الخديو أسماعيل باشا سنة 1863 الى سنة 1879 ، المجلد الأول ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1923 .
2- ابراهيم الحاردلو ، الرباط الثقافي بين مصر والسودان ، دار جامعة الخرطوم ، الخرطوم ، 1977 .
3- إبراهيم شحاته حسن ، مصر والسودان ووجه الثورة في نصحية أحمد العوام ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية .
4- الياس الأيوبي ، محمد علي سيرته وأعماله وأثاره ، دار الهلال ، مصر ، 1923.
5- أحمد زكريا الشلق ، معالم تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر ، الدوحة ، 1996 .
6- أمل صديق عفيفي ، أيام في حياة محمد علي ، ط2 ، مشارق للنشر والتوزيع ، 2007 .
7- أمين سامي ، تقويم النيل ، المجلد الأول ، الجزء الثالث .
8- جمال الدين الشيال ، التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر، مكتبة النهضة المصرية ، مصر ، 1958 .
9- حمدنا الله مصطفى حسن ، التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان ( 1841-1881) ، دار المعارف ، ط1 ، 1985 .
10- زاهر رياض ، السودان المعاصر منذ الفتح المصري حتى الاستقلال (1821-1953) ، مكتبة الانجلو المصرية ، 1966 .
11- شوقي الجمل ، تاريخ سودان وادي النيل حضارته وعلاقته بمصر من أقدم العصور الى الوقت الحاضر ، ج2 .
12- صالح مجدي ،حلية الزمن بمناقب خادم الوطن(سيرة رفاعة الطهطاوي)، تحقيق جمال الدين الشيال ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي .
13- صلاح أحمد هويدي ، تاريخ مصر الحديث ، مكتبة بستان المعرفة ، الأسكندرية، 2009 .
14- ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1965 .
15- عبد الرحمن الرافعي ، عصر أسماعيل ، ج1 ، ط2 ، مطبعة دار الفكرة ، القاهرة ، 1948 .

16- عبد العزيز عبد المجيد ، التربية في السودان في القرن التاسع عشر ، ج2 ، ص2 ، 1949 .
17- عبد المجيد عابدين ، تاريخ الثقافة العربية في السودان منذ نشأتها الى العصر الحديث ، المطبعة التجارية ، ط2 ، دار نشر الثقافة ، بيروت ، 1967 .
18- لوتسكي ، تاريخ الاقطار العربية ، دار التقدم ، موسكو .
19- لويس عوض ، تاريخ الفكر المصري الحديث ، دار الهلال ، 1969 .
20- محمد عمارة ، رفاعة الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث ، دار المستقبل العربي ، ط1 ، بيروت ، 1984 .
21- محمد فؤاد شكري ، الحكم المصري في السودان ( 1820-1885) ، دار الفكر العربي ، 1947 .
22- مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، القاهرة ، 1966 .
23- نعوم شقير ، مصر والسودان ، دار الثقافة ، بيروت ، د.ت .

**الرسائل والأطاريح** :

1- عبد الكريم حسين الشباني ، اتجاهات التحديث ، عند المفكر العربي ، رافع الطهطاوي ، أطروحة دكتوراه مقدمة الى معهد الدراسات القومية الاشتراكية ، الجامعة المستنصرية ، 1989 .

**الموسوعات** :

1- محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، لبنان .
2- دائرة معارف الشعب ، ج3 ، دار ومطابع الشعب ، القاهرة ، 1960 .
3- ناصر الأنصاري ، موسوعة حكام مصر من الفراعنة إلى اليوم ، دار الشروق، 1989 .